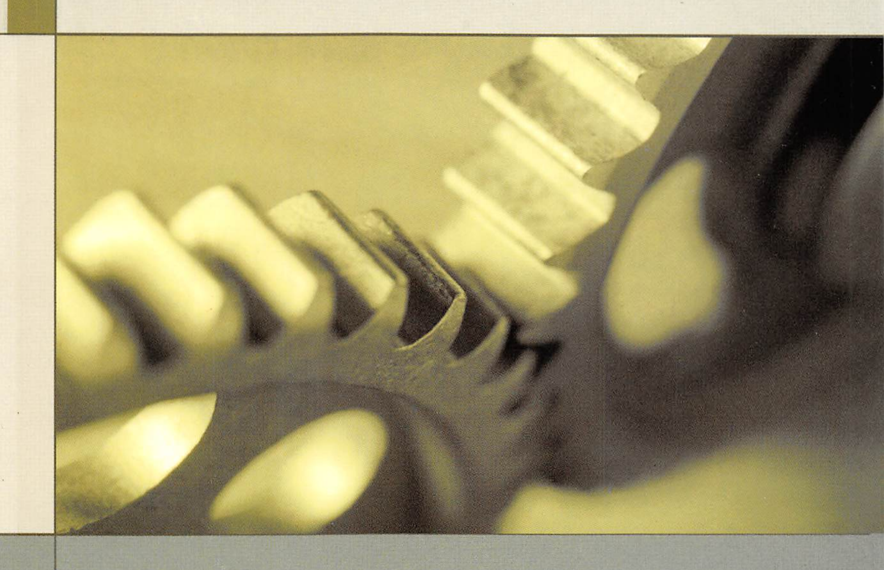


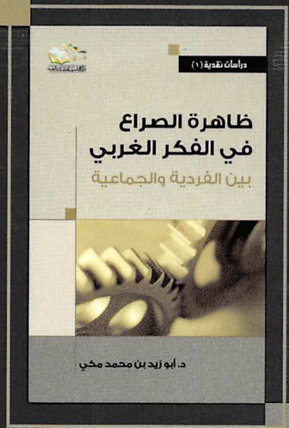
دراسات نقدية (١)

ظاهرة الصراع في الفكر الغربي

بين الفردية والجماعية



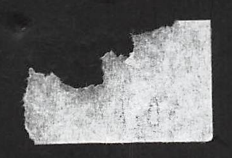
د. أبو زيد بن محمد مكي



(الفرديـة والجماعية) من أهم نوازع النفس الإنسـانية. وقد تناولهـا الفكـر الغربـي برؤيـة اختزاليـة متطرفـة، أنتجت اتجاهين متضادين؛ تكوّن على أساس الصراع بينهما كبرى المذاهـب الفكريـة المعاصـرة كالرأسـمالية والاشـتراكية، ومدارس علم النفس والاجتماع المعاصر.

وفي هـذه الدراسـة قـام الباحث بمناقشـة المذهـب الفردي والجماعـي والتلفيقـي (الذرائعي) بمنهج نقـدي مقارن، ثم بيّن المنهج الإسـلامي المتوافق مع طبيعة النفس الإنسانية وفطرتها بأسلوب سهل مختصر.

الناشر



المملكـة العربيـة السعـودية - ص.ب ١٨٧١٨ جـدة ٢١٤٢٥
هاتف: ٦٢٨٨٦٨٥ ٢ (٩٦٦+) فاكس: ٢٧١٨٢٣٠ ٢ (٩٦٦+)
www.taseel.org



ظاهرة الصراع في الفكر الغربي
بين
الفردية والجماعية

ظاهرة الصراع في الفكر الغربي بين الفردية والجماعية

د. أبو زيد بن محمد بن محمد مكي

الطبعة الأولى

رمضان ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ إفرنجي

موضوع الكتاب: مذاهب معاصرة

تصميم الغلاف: مركز التأصيل

الحجم: ١٣×٢٠سم

التجليد: غلاف فاخر

ردمك: ٥ ـ ١٣٥٥ ـ ٠٠ ـ ٦٠١ ـ ٩٨٧

(فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية/ الرياض)

رقم الإيداع المحلي: ٥٥٦١/ ١٤٦١

مركز التأصيل للدراسات والبحوث

المملكة العربية السعودية، جدة، طريق الحرمين (الخط السريع)، بجوار كوبري التحلية.

هاتف: ٦٢٨٨٦٨٥ ٢ ٩٦٦ +   ناسوخ: ٢٧١٨٢٣٠ ٢ ٩٦٦ +

ص ب: ١٨٧١٨ جدة ٢١٤٢٥ المملكة العربية السعودية

الموقع الإلكتروني: www.taseel.org.sa

بريد إلكتروني: info@taseel.org.sa

ظاهرة الصراع في الفكر الغربي

بين

الفردية والجماعية

بقلم

د. أبو زيد بن محمد مكي

مركز التأصيل للدراسات والبحوث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن من حكمة الله ﷻ في خلقه الإنسان أن جعل فيه صفات تبدو في الظاهر متضادة متناقضة، مثل صفة الحب مع البغض، والخوف مع الرجاء، والاتجاه إلى الواقع مع الاتجاه إلى الخيال، والسلبية مع الإيجابية.. وهذه الصفات إذا أعملها الإنسان في مجالها الصحيح، فإنه لا يحدث بينها أي تضاد أو صراع، بل يكون بينها من التوافق ما يؤدي إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

وإن من أخطر الصفات التي تبدو في الظاهر متضادة متناقضة: إحساس الإنسان بفرديته، وإحساسه بالميل إلى الاجتماع بالآخرين، وقد انقسم الناس تجاهها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من اهتم بالجانب الفردي على حساب الجانب الجماعي.

والقسم الثاني: من اهتم بالجانب الجماعي على حساب الجانب الفردي.

والقسم الثالث: من اعتقد الانفصام بينهما، فحاول التوفيق بمحاولة خاطئة.

وإن السبب الحقيقي لهذا الاختلاف يعود إلى عدم فهم حقيقة النفس البشرية، وأنها لن تسعد وتستقيم إلا بالاهتمام بالجانبين المتضادين معاً، وإعطاء كل واحد منهما غذاءه المناسب له، وهذا ما يقدمه الإسلام للإنسان، فإنه كما يغذي الجانب الروحي، يغذي الجانب المادي، وكما يغذي الحب في مجاله، هو يغذي الكره في مجاله، وكما يغذي الخوف فهو يغذي الرجاء، وهنا: كما يغذي الفردية، فهو يغذي الجماعية، ويوفق بينهما توفيقاً يؤدي لصلاح الفرد والمجتمع، بإذن الله تعالى.

وقد أحببت الكتابة في موضوع ظاهرة الصراع في الفكر الغربي بين الفردية والجماعية عبر المباحث التالية:

المبحث الأول: المذهب الفردي.

المبحث الثاني: المذهب الجماعي.

المبحث الثالث: المذهب التلفيقي.

المبحث الرابع: المذهب الإسلامي.

وقد قسمت كل مبحث إلى مطالب تفصيلية، ثم ختمت المباحث بخاتمة ذكرت فيها أبرز النتائج، سائلاً الله تعالى الإعانة والإخلاص والتوفيق.

المبحث الأول

المذهب الفردي

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: حقيقة المذهب الفردي.

المطلب الثاني: أبرز روَّاد المذهب الفردي.

المطلب الثالث: فلسفة التربية الحديثة في المذهب الفردي.

المطلب الرابع: نقد المذهب الفردي.

المطلب الأول

حقيقة المذهب الفردي

يقصد بالفردية: اهتمام المرء بنفسه، ومحافظته على ذاتيته، واستقلاله وكيانه[١].

المذهب الفردي يختلف تعريفه باختلاف العلم الذي يرد فيه، وما يهمنا هنا هو تعريفه في علوم الاجتماع والسياسة والتربية، فالمذهب الفردي في تلك العلوم قائم على تقديس الفرد، وتقديم حقوقه على حق المجتمع ومؤسساته.

---

(١) شخصية المسلم (١٢).

جاء في المعجم الفلسفي لصليبا تعريف المذهب الفردي بأنه: «مذهب من يرى أن غاية المجتمع رعاية مصلحة الفرد، والسماح له بتدبير شؤونه بنفسه»[١].

وبأنه يطلق على: «القول: إن قيمة الفرد أعلى من قيمة المؤسسات المحيطة به، لأن الفرد هو الغاية التي من أجلها وجدت الدولة»[٢].

يرى أصحاب المذهب الفردي أن الإنسان فردي النزعة، وأن المجتمع مفروض عليه من خارج نفسه، متحكم فيه بغير إرادته، ومن ثَمَّ فهو مكروه، وتفتيته وتفكيكه حلال[٣].

يقوم المذهب الفردي على إبراز كيان الفرد حتى يجعله مقدساً، يحرم على المجتمع المساس بحريته، وليس له أن يحرِّج عليه، وليس له أن يقول له: هذا خطأ وهذا صواب[٤].

وهناك مذهب مقارب للمذهب الفردي، وهو

---

(١) (٢/١٤١).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) انظر: منهج التربية الإسلامية (١/١٦٣).

(٤) انظر: جاهلية القرن العشرين (١٣٠).

المذهب الشخصاني، جاء تعريفه في المعجم الفلسفي لصليبا بأنه: «مذهب أخلاقي واجتماعي مبني على القول: إن للشخص الإنساني قيمة مطلقة، وهو مذهب الفيلسوف مونيه.. وهو يفرق بين المذهب الشخصاني والمذهب الفردي، ويتكلم على اندماج الشخص في المجتمع والعالم»[١].

فالشخصانية مذهب فلسفي يدعو إلى الحرية، ويرفض كل القيود التي تلغي حرية الشخص وإبداعه، إلَّا أنها ترى أن المذهب الفردي يغلو في الفرد حتى يدعو إلى انعزاله عن المجتمع، بخلاف الشخصانية فإنها مع دعوتها للحرية، فإنها تدعو الفرد إلى أن يكون مندمجاً مع المجتمع دون أن يفقد ذاته[٢].

وقد نتج المذهب الفردي في الغرب لعدة أسباب أبرزها[٣]:

١ - ردة فعل للطغيان الكنسي، وفرضه سلطاناً مذلاً على كاهل الناس.

---

(١) (١/ ٦٩٠).

(٢) انظر: الفردية في الفكر الفلسفي المعاصر، د. حسن الكحلاني (١٩٠).

(٣) انظر: جاهلية القرن العشرين (١٣١ ـ ١٣٦).

٢ ـ ردة فعل لاستبداد الإقطاعيين بالأفراد، وسلبهم حقوقهم وحرياتهم.

٣ ـ الانقلاب الصناعي الذي حدث في عصر النهضة الأوروبية، والذي أحدث تغيراً كاملاً في صورة المجتمع، وقدم العمال فرادى من الريف، كل منهم يسعى لتحقيق ذاته، ونفع نفسه.

٤ ـ تشجيع الرأسمالية للمذهب الفردي، لقيامها على أساسه، ومدافعتها عنه دفاعاً عنيفاً، وكان شعارهم الذي رفعوه: «دعه يعمل. دعه يمر»، أي: دع الفرد يعمل ما يشاء بلا حواجز، دعه يمر بلا عوائق. فكانت دعوة للانطلاق من القيود[١].

وعلى كلٍّ، فالمذهب الفردي والشخصاني الذي نشأ في الغرب، ومرَّ بمراحل عدة، منذ بداية عصر النهضة الأوربية إلى عصرنا الحاضر، إنما يهدف ـ كما يظن أصحابه ـ إلى إنقاذ الإنسان مما أصابه من تسلط المجتمع عليه سواء في ذلك مجتمع الكنيسة أو الإقطاع أو الرأسماليين، هذه المجتمعات بفلسفاتها قد أفقدت الإنسان إنسانيته، فأرادوا إعادتها إليه عن طريق تحرير

(١) انظر: جاهلية القرن العشرين (١٤١ ـ ١٤٢).

الإنسان من تلك الفلسفات وتلك المجتمعات، فجاءت الدعوة إلى الإنسانية، وإلى تحقيق إنسانية الإنسان، وذلك بأن يكون هو مقياس الحكم على الأشياء، وتنبع القوانين من ذاته، ويصل للمعرفة بنفسه، ويسعى سعياً حثيثاً لتحقيق المنفعة الذاتية لنفسه باستغلال خيرات الطبيعة وإشباع رغباته وشهواته، فهذه هي القضية الكبرى، من فهمها فهم جميع الفلسفات الغربية المعاصرة من ديمقراطية وعلمانية وليبرالية وبراجماتية ووجودية، فكلها تقوم على الدعوة إلى تحقيق إنسانية الإنسان من خلال التمرد على مؤسسات المجتمع المختلفة إن كانت لا تسعى في تحقيق رغبات الأفراد ومصالحهم، وكذلك من خلال التمرد على كل القيم والعادات والأعراف التي من شأنها أن تحول بين شهوات الفرد ونزواته[١].

---

(١) انظر: الإنسانية والوجودية، د. عبد الرحمٰن بدوي (١٨، ٢١، ٢٥).

المطلب الثاني

أبرز روَّاد المذهب الفردي

١ ـ يعتبر، كارل روجرز، عالم النفس الأمريكي، رائد هذا المذهب، والذي وجهه إلى ميدان علم النفس والتربية. وهو ينادي بوجوب إتاحة الفرصة للأفراد للعيش في عالم متحرر من ضغوط المجتمع، وليختاروا القيم التي تنبع من داخلهم. فهو يود تحرير الأفراد من القيود المدمِّرة ـ كما يسميها ـ التي يفرضها المجتمع عليهم[١].

(١) انظر: أهداف التربية الإسلامية (٤٦٨).

٢ ـ ويعتبر المذهب الفردي امتداداً لآراء فرويد وآراء مدرسة التحليل النفسي، والذين يزعمون بأن الفرد هو الضحية الدائمة للمجتمع، وأن المجتمع شيء مفروض على الإنسان من خارج كيانه، وضاغط عليه، وكابت لرغباته، ومعوِّق لنموه الأصيل[١].

٣ ـ وتعتبر الرأسمالية في الغرب قائمة على أساس فردية الإنسان، فتوسع له في حدود فرديته، وتترك له حرية التصرف في كثير من الأمر حتى يصل إلى حد إيذاء نفسه وإيذاء الآخرين، تحت ستار الحرية الشخصية[٢].

٤ ـ وكذلك يتبنى هذا المذهب علماء النفس الفرديون، والذين ينظرون إلى المجتمع من وجهة نظر الفرد، فيبالغون في تقديره كشخصية مستقلة، لها كيانها المنفصل عن الآخرين، كما يبالغون في الحجر على حق المجتمع في تأديب الفرد الخارج على طاعته[٣].

٥ ـ وكذلك ينادي بهذا المذهب: الوجوديون وغيرهم من المنحلين، الذين يقولون بأن المجتمع لا

(١) انظر: دراسات في النفس الإنسانية (١٣٩).
(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية (١٦٢).
(٣) انظر: الإسلام بين المادية والإسلام (١١١).

يضره شيء في أن يستمتع الفرد بحريته في شؤونه الشخصية، لأن الفرد هو الأصل، وهو الذي ينبغي أن يتحقق له وجوده الكامل، رضي الآخرون أو غضبوا[١].

فالوجودية فلسفة فردانية وذاتية، رائدها سورين كيركجارد، الذي أوصى: أن يكتب على ضريحه جملة «هذا هو الفرد»، فهو يرى أن كل فرد يمتلك الحقيقة، لكن الحقيقة تضيع حين يكون الفرد مع المجتمع وسط التصويت والضوضاء، ولذا فهو يرفض الديمقراطية لأنها عدوة الفرد المتميز، فكل تجمع ـ عنده ـ مهما كان يفسد الروح الفردية إذ يدمجها في المجموع، فلا يكون لها رأي إلا بعد الأصوات[٢].

وكذلك سارتر من فلاسفة الوجودية ودعاة الفردية، والذي يقول عن الآخر بأنه الجحيم، ويرى أن المجتمع يفقد الفرد حريته، فلا بد أن يظل الفرد في صراع مستمر مع المجتمع بقيمه المطلقة، ومعاييره الثابتة، ليغيرها وفق ما يراه، فهو مسؤول عن نفسه وعن الآخرين والعالم[٣].

---

(١) انظر: الإسلام بين المادية والإسلام (١١٥).

(٢) انظر: الفردانية (٥١ ـ ٧٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٤٤ ـ ١٧٩).

٦ ـ وكذلك ينادي بالفردية، فيلسوف القوة: نيتشة، الداعي إلى وصول الفرد إلى مرحلة «السوبرمان»، فهو يدعو الفرد إلى قتل النزعة الجماعية في نفسه، لكون الجماعة تفقد الفرد الإحساس بالمسؤولية، وتدمر شخصيته، فالجمهور عند نيتشة أكبر خطر يهدد الفرد وحريته وإبداعه[١].

(١) انظر: المصدر السابق (٨٨ ـ ٩٣).

المطلب الثالث

فلسفة التربية الحديثة في المذهب الفردي

يرى أصحاب المذهب الفردي أن التربية يجب أن تنطلق من الفرد وتنتهي بالمجتمع، وعليها أن تساعد الأفراد للتحرر من القيود التي فرضها عليهم المجتمع.

إنهم يرون أن الأفراد يتسترون خلف قناعات زائفة تخفي حقيقتهم الأساسية، هذه القناعات الزائفة هي القيم التي يفرضها المجتمع عليهم، وهم في الواقع يؤمنون بأشياء أخرى غيرها، فلا بد إذن أن تساعدهم التربية على إخراج القيم النابعة من داخلهم، وتحطيم القيود المفروضة

عليهم من خارجهم، وبذلك يتعامل الأفراد مع بعضهم طبقاً لرغباتهم الفطرية المتحررة من القيود التي نسجتها اتجاهات المجتمع وقيوده[١].

(١) انظر: أهداف التربية الإسلامية (٤٦٨ ـ ٤٦٩).

المطلب الرابع

نقد المذهب الفردي

١ ـ أول نقد يوجه للمذهب الفردي أنه اهتم بجانب من الإنسان ـ بغض النظر عن كيفية الاهتمام ـ وأهمل جانباً آخر، وبالتالي فلن يتوازن الإنسان، ويكتمل نموه، فهو قد أهمل الجانب الجماعي في الإنسان، وهو حاجة ورغبة ملحة فيه. ففي الإنسان هذه الطبيعة المزدوجة: الميل إلى الفردية، والميل إلى الجماعية، وكلاهما أصيل فيه، فلا بد من العناية بهما معاً، وإلا حصل الاضطراب في باطن النفس، وفي

واقع الحياة[١].

٢ ـ لقد وسعوا دائرة الفردية حتى خرجوا بالإنسان إلى الأنانية المرذولة، وساهموا في تفكيك المجتمع، وتشتيت طاقاته[٢].

٣ ـ اعتبارهم المجتمع مفروض على الفرد خطأ، لأن المجتمع ناشئ من داخل كيان الفرد، ناشئ من رغبته في الاجتماع بالآخرين، ونقصد بالمجتمع: المجتمع الطبيعي الذي ينشأ من تلاقي الأفراد، لا نقصد به المجتمع المنحرف، وهم كذلك لا يقصدونه، وإنما يقصدون أي مجتمع هو مفروض على الفرد، معوِّق لنموه، والصحيح بأنه ما هو إلا تكملة طبيعية للفرد، وامتداد طبيعي يجد فيه الفرد وجوده المتكامل السليم[٣].

٤ ـ إن خروج الأفراد على تقاليد المجتمع الصحيحة دون رادع، وتنازل المجتمع عن تقاليده تلك نتيجته الحتمية: انهيار المجتمع بكارثة تصيبه من الداخل أو الخارج، وتؤدي في النهاية إلى حرمان أولئك الأفراد

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية (١٦٣).
(٢) انظر: دراسات في النفس الإنسانية (١٣٣).
(٣) انظر: المرجع السابق (١٣٩)، والإنسان بين المادية والإسلام (١١٢).

أنفسهم مما كانوا غارقين فيه من المتاع المباح[١].

٥ ـ إن المذهب الفردي ينفي عن الإنسان كل هدف أبعد من هدف المصلحة المباشرة القريبة، وينفي عن الإنسان عنصر التطلع إلى ما هو أبعد من الذات[٢].

٦ ـ لقد نتج عن المذهب الفردي ظواهر نفسية سيئة مثل: الشعور بالوحدة، والنرجسية، والانكفاء الذاتي، وكذلك ساهم في تكوين علاقات جديدة مثل: علاقات البارات، وأماكن المخدرات، وعصابات الجريمة، بل أثر المذهب الفردي في زيادة نسب الطلاق والانتحار والجريمة، وقلة الاهتمام بالفقراء والضعفاء[٣].

(١) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام (١٢٠).
(٢) انظر: السلام العالمي والإسلام (١٠٤).
(٣) انظر: اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية (١٠٤).

المبحث الثاني

المذهب الجماعي

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: حقيقة المذهب الجماعي.

المطلب الثاني: أبرز رواد المذهب الجماعي.

المطلب الثالث: فلسفة التربية الحديثة في المذهب الجماعي.

المطلب الرابع: نقد المذهب الجماعي.

المطلب الأول

حقيقة المذهب الجماعي

المذهب الجماعي أو النزعة الجماعية: هو المذهب المضاد لمذهب الفردانية، وهو قائم على إلغاء الفرد، وتسخيره لخدمة ما هو عام وشمولي، فيرى أصحاب هذا المذهب أن الإنسان لا يمكنه تحقيق وجوده إلا في الامتثال للمجتمع والدولة، فإنسانية الإنسان ـ عندهم ـ لا يمكن تحقيقها إلا بامتثال أفكار المجموع، وبقدر تمثل الفرد عواطف ومعتقدات ومبادئ سلوك المجتمع بقدر ما

تتحقق إنسانيته[(١)].

يقصد بالجماعية: ميل الإنسان إلى العيش في الجماعة، والتعايش معها[(٢)].

يرى أصحاب المذهب الجماعي أن الإنسان جماعي النزعة، وأن الواجب على الفرد أن يغمس نفسه في المجتمع، ويفنى فيه من أجل صالح المجموع.

ويرون أن الوجود المستقل للأفراد عن الجماعة وهم من الأوهام[(٣)].

ويبالغ أصحاب المذهب الجماعي في إبراز كيان المجتمع حتى يجعلون منه كياناً مقدساً، والفرد لا قداسة له ولا كيان، ولا يحق له أن يملك، ولا يحق له أن يصوغ أفكاره وعقائده وأخلاقه وتقاليده. لا يحق له أن يعترض على عمل المجتمع، أو يصفه بأنه خطأ أو صواب. إنهم في الحقيقة يؤلهون المجتمع، ومن يصنع ما

---

(١) انظر الفردانية (٣١٤ ـ ٣١٦).

(٢) انظر: شخصية المسلم (١٢). انظر: علم الأخلاق، ألكسندر تيتارينكو (١٥٠ ـ ١٥٢).

(٣) انظر: مفهوم إسلامي للتاريخ (٦٨، ٦٩)، ضمن كتاب «العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية».

يحلو له، ويجعلون الفرد عبداً خاضعاً له[١].

وقد قام المذهب الجماعي لعدة أسباب أهمها:

١ ـ رد فعل للمذهب الفردي الرأسمالي. يقول سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنه جموح جديد ينشأ من رد فعل لجموح قديم، وداء جديد تعالج به البشرية من داء قديم. وتحطيم لخصائص الإنسانية في جانب لإنقاذه من تحطم خصائصه الأساسية في جانب آخر»[٢].

٢ ـ ولأنهم يرون أن الذات الإنسانية محدودة بالزمان والمكان، بخلاف الجماعة، وأن الفرد إنما وجد من أجل نفع الجماعة، ولذلك فالقوى الاجتماعية هي التي تشكل الفرد من أوله لآخره، وليس لكيان الفرد الداخلي أي دور[٣].

---

(١) انظر: جاهلية القرن العشرين (١٣١).
(٢) الإسلام ومشكلات الحضارة (١٠٤)، وانظر: في فلسفة الحضارة (٢٣٤).
(٣) انظر: مفهوم إسلامي للتاريخ (٦٩).

المطلب الثاني

أبرز روّاد المذهب الجماعي

١ ـ يعتبر جان جاك روسو، الذي صاغ نظرية العقد الاجتماعي الصياغة النهائية، رائد المذهب الجماعي، حيث يرى أنه بمقتضى العقد الاجتماعي يتنازل كل فرد عن نفسه وعن حقوقه للإرادة الكلية، ويصبح كل فرد جزءاً لا يتجزأ من الكل، جاء في المعجم الفلسفي لصليبا: «العقد الاجتماعي: اتفاق افتراضي بين أفراد المجتمع يوجب على كل منهم وهو في الحالة الطبيعية أن يعهد في شخصه، وفي كل ما لديه من قدرات إلى الإدارة العامة

التي تنتظم بها حياة الكل، قال روسو: إن الإنسان يربح بالعقد الاجتماعي حريته المدنية، وإن خسر به حريته الطبيعية»[١].

٢ ـ ويعتبر هيجل ـ أيضاً ـ من أوائل من دعا للمذهب الجماعي، ونادى بأن يكون الأفراد تروساً نافعة في أجهزة المجتمع المعقد، وأن يفنوا فيه من أجل صالح المجموع.

فهيجل هو صاحب الفكرة المطلقة والروح الكلية التي تتألف منها الأرواح الفردية، فالفرد بأخلاقه وأفعاله إنما يعكس التطور الكلي للروح المطلقة، ويرى أن الدولة هي الوجود الحقيقي والعقلي الذي تتجسد فيه الروح الكلية أو الفكرة المطلقة، فالدولة وحدها تحقق قيمة الحياة، ولا بد أن يخضع الفرد خضوعاً تاماً كلياً لسلطة الدولة[٢].

٣ ـ وقد قام ماركس بهذا المذهب بكل قوة، ودعا المجتمع أن يكبت بوحشية الذاتية الفردية بمساعدة الذاتية الجماعية، حتى يثور الإنسان ضد ضميره الأخلاقي،

---

(١) (٢/ ٨٢)، وانظر: الفردانية (٣١٦ ـ ٣٢١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٣٢٤).

وضد الحقيقة والعدل، وضد رب الوجود[١].

يقول ماركس: «إذا كان الإنسان كائناً اجتماعياً بطبيعته، فإنه يترتب على ذلك أنه لا يمكن له أن يطور طبيعته الحقة إلّا في المجتمع، فعل قوة طبيعته ينبغي الحكم لا في ضوء قوة أفراد منعزلين، وإنما في ضوء قوة المجتمع بأسره»[٢].

يقول د. الكحلاني: «وهكذا نجد أن الماركسية فلسفة جماعية، تؤكد أولوية الطبقة ووعيها على الفرد ووعيه، فالماركسية لا تنكر أنها ذات نزعة جماعية بل نجدها تدافع عن جماعيتها هذه، وترى أنها جماعية مختلفة عن الجماعية القديمة التي تكرس العبودية للسيد الاقطاعي، أو حتى جماعية العمال الذين يخضعون لسيطرة صاحب رأس المال، بل إنها جماعية تجمع بين الذاتية والموضوعية معاً، لأن سمة الماركسية هو الجمع بين المتناقضات، بل نجدها تهاجم من يرون استحالة الجمع بين الفردية والجماعية[٣].

---

(١) انظر: مفهوم إسلامي للتاريخ (٦٩)، وانظر: آفاق الفلسفة (٣٨٧).

(٢) نقلاً عن الفردانية (٣٣٥).

(٣) المصدر السابق (٣٣٧).

٤ ـ وكذلك يرى هذا المذهب عالم الاجتماع «دور كايم»، ويقول بأن المجتمع قوة قائمة بذاتها، غير نابعة من كيان الأفراد، ومؤثرة في الأفراد بإرادة مستقلة عن إرادتهم[١].

يقول د. حسن الكحلاني: «يرى دور كايم أن الإنسان لا يستطيع التخلي عن اجتماعيته، بل عليه أن يخضع للجماعة، وما تفرضه عليه، ويمضي دور كايم إلى حد أبعد من ذلك، إذ يرى أن الإنسان لا يحقق حريته إلَّا مع الجماعة، ولا مكان لمن يدعو لحرية الفرد خارج الجماعة»[٢].

٥ ـ وقد قامت الشيوعية في الشرق على هذا الأساس، فوسعت في دائرة الجماعة (الدولة)، وحجرت على نشاط الأفراد إلَّا فيما يتعلق بالنشاطات الحسية الغليظة، ومنعت مشاركتهم الفعلية في سياسة الحكم وسياسة المجتمع، وفرضت عليهم النظم بدعوى أنها أعرف منهم بمصالحهم[٣].

---

(١) انظر: دراسات في النفس الإنسانية (١٣٩).

(٢) الفردانية (٣٣٢).

(٣) انظر: منهج التربية الإسلامية (١٦٢ ـ ١٦٣)، وانظر: تقاليد أول أيار، ألكسندر خرامتسوف.

المطلب الثالث

فلسفة التربية الحديثة في المذهب الجماعي

يرى أصحاب المذهب الجماعي ـ دور كايم وأمثاله ـ أن وظيفة التربية هي نقل الثقافة الاجتماعية إلى الفرد الناشئ. فالتربية تبدأ بالمجتمع وتنتهي بالفرد.

إنهم يرون أن الحياة الحقيقية النافعة تكون بقيام المجتمع وتوثيق روابطه، وبالتالي فالمجتمع يحتل عندهم المكانة الأولى ثم يأتي بعده الفرد، فوظيفة التربية يجب أن تكون منصبة في تطوير الروح الجماعية عند الأفراد.

فمحور أهداف التربية في المذهب الجماعي هو المجتمع وليس الفرد.

كذلك يرى أصحاب المذهب الجماعي أن مسؤولية التربية تقع على الدولة، والتي عليها أن تعد المعلمين والمدارس إعداداً مناسباً للقيام بالوظيفة بالشكل الذي ترغب به الدولة[١].

يهتم أصحاب المذهب الجماعي في تربيتهم للأفراد بتقديم معلومات محددة مناسبة للعمل والوظيفة التي يقوم بها أولئك الأفراد. ويهتمون بقضية التعويد على الإذعان والخضوع للسلطة، ويرن أنها من أهم مقومات نجاح الفرد، فالتربية للعمل في المصانع، لا تتطلب عمالاً يناقشون في الصواب والخطأ والحقوق والواجبات. ولذلك فإن علاقة المعلم بتلاميذه، والمدير بمعلميه علاقة تنفيذية، قائمة على السلطة والتعليمات، وإصدار الأوامر، وتنفيذ القرارات، مثل التربية العسكرية التي تجفف إرادة الفرد، وتجعله ينفذ الأوامر دون تساؤل أو تفكير[٢].

---

(١) انظر: أهداف التربية الإسلامية (٤٦٧، ٤٦٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤٧١، ٤٧٢).

المطلب الرابع

نقد المذهب الجماعي

١ ـ يقوم المذهب الجماعي بالاهتمام بجانب من الإنسان ـ بغض النظر عن كيفية ـ وإهمال جانب آخر فيه، وهو الجانب الفردي، وبالتالي يختل كيان الإنسان، ويفقد سعادته[١].

٢ ـ إن معاملة الفرد على أنه حركة لا إرادية في أيدي المجتمع الشديدة إنكار للعلاقة الفردية بين العبد

(١) انظر: الإسلام بين المادية والإسلام (١١١).

وربه، وهي علاقة فطرية ضرورية للإنسان، لا صلاح للفرد بدونها، والعبد مسؤول فرداً يوم القيامة عن أعماله، ولذلك فليس هو ملك للمجتمع يصرفه كيفما يشاء، بل له القدرة والاختيار في أعماله وأقواله[١].

٣ ـ إن اعتبار الجماعة أسمى من الأفراد خطأ، وإنما خلقت الجمعيّة كقوة تكميلية للأفراد[٢].

٤ ـ إن المذهب الجماعي يقضي على تميز الأفراد، ولا ينشئ إلا مجتمعاً مستضعفاً خانعاً، لأن أفراده أصفاراً لا وجود واقعي لهم، ليس لديهم القدرة على رفع ظلم عن مظلوم، لا بكلمة ولا بفعل، طالما أن المجتمع أراد ذلك. أي: الحاكم والسلطان على الحقيقة[٣].

٥ ـ إن الواقع المحسوس يرد على المذهب الجماعي كما يرد على المذهب الفردي وهو أن كل فرد هو في ذات الوقت كائن مستقل، وعضو في جماعة، ولا تكاد توجد لحظة واحدة ولا فكرة ولا عمل يمكن أن يزاوله الفرد بإحدى صفتيه دون الأخرى، وإن بدا في ظاهر الأمر أن هذا مستطاع[٤].

---

(١) انظر: مفهوم إسلامي للتاريخ (٧١).
(٢) انظر: مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع (٥٠).
(٣) انظر: منهج التربية الإسلامية (١٦٤).
(٤) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام (١١٢).

المبحث الثالث

المذهب التلفيقي

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة المذهب التلفيقي.

المطلب الثاني: أبرز رواد المذهب التلفيقي.

المطلب الثالث: فلسفة التربية الحديثة في المذهب التلفيقي.

المطلب الرابع: نقد المذهب التلفيقي.

المطلب الأول

حقيقة المذهب التلفيقي

يراد بالمذهب التلفيقي: المذهب القائم على وجود انفصام بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية عند الإنسان، وعلى وجود صراع بين الفرد والمجتمع، فيلفِّق مذهباً لا فردياً ولا جماعياً، وإنما مذهباً نفعياً قائماً على استغلال تبادل العلاقة بينهما إلى أقصى حد.

يرى أصحاب المذهب التلفيقي أن أساس الخطأ عند المذهب الفردي وعند المذهب الجماعي هو الفصل بين الفرد والمجتمع، ووضع مصلحة كل واحد منهما ضد

مصلحة الآخر، وأن أياً منهما لا يحقق وجوده إلا بالتغلب على الآخر، فهم يوافقونهم على وجود الانفصام لكن يخالفونهم في طريقة العلاج، فالمعالجة عندهم تكون على وفق ما يحقق المصلحة والمنفعة للجميع[١].

(١) انظر: أهداف التربية الإسلامية (٤٦٩).

المطلب الثاني

أبرز روّاد المذهب التلفيقي

يمثل المذهب التلفيقي ـ كما أحب تسميته بهذا الاسم ـ الفلسفة الشخصانية، وقد أشرنا إليها في بداية البحث، وهي الفلسفة التي تحاول التلفيق بين الفردانية والجماعية، وذلك بالدعوة إلى الفردية، وإلى القول بأن الحقيقة شخصية، وأن الفرد هو صانع القيم والأخلاق، وأن الفرد لا بد أن يرفض كل أشكال العبودية التي يفرضها المجتمع أو الدولة، وفي الوقت ذاته يدعون الفرد إلى الاتصال بالآخرين، والانفتاح عليهم، وذلك عن

طريق الحقائق الفردية المشتركة، والتي تمثل الوعي الجماعي، والذي لا بد من الخضوع له، وهنا دعوة إلى الجماعية[١].

لذا فإن الفلسفة الشخصانية ترى أصدق معبر عنها هو النظام الديمقراطي، ففيه ـ في رأيهم ـ تتحقق الفردية والجماعية معاً، إذ تتاح للأفراد حرية المنافسة وحرية الارتقاء، وفيها يمكن تحقيق الفرد لذاته بالاتصال والانفتاح على الآخرين[٢].

ومن أبرز الدعاة للفلسفة الشخصانية: رينوفييه الفرنسي، وهو مؤسسها في فرنسا، وبروياتيف الروسي، كما يذكر د. الكحلاني في كتابه الفردانية[٣].

ويعتبر جون ديوي من أبرز دعاة هذا المذهب أيضاً[٤]، فديوي يعتقد بوجود تأثير كبير للبيئة والمجتمع في أفكار الناس ومعتقداتهم وميولهم[٥]، ويرى في الوقت

---

(١) انظر: الفردانية (٣٧١ ـ ٣٧٣).
(٢) انظر: المصدر السابق (٣٧٦).
(٣) انظر: (٣٧١، ٣٧٢).
(٤) انظر ترجمته في: دراسات في الفلسفة المعاصرة د. زكريا إبراهيم (٥٨ ـ ٦٥).
(٥) انظر: المصدر السابق (٥٩).

ذاته أن للفرد قدرة كبيرة في تغيير نظم المجتمع بما يوافق مصلحته. فمذهب ديوي كما هو معروف قائم على النفعية، وقد يسمى بالذرائعية، وهو محارب لكل شيء من شأنه أن يقف أمام الحرية الشخصية، أو يضع العقبات في سبيل التطور الاجتماعي، فهو يشجع كل مسعى يراد به تنظيم الهيئة الاجتماعية من جديد[١].

(١) انظر: فلسفة المحدثين والمعاصرين، أ. وولف، ترجمة: أبو العلا العفيفي (١١٠).

المطلب الثالث

فلسفة التربية الحديثة في المذهب التلفيقي

يرى ديوي أن الفلسفة بإمكانها معالجة انفصام العلاقة بين الفرد والمجتمع. وأن وظيفة التربية تقوم على استغلال تبادل العلاقة بينهما إلى أقصى حد.

ويرى أن الوسيلة لتحقيق هذا الهدف هو الذكاء الإنساني، المتضمن لقوة الملاحظة التي تمكن الفرد من تحديد المشكلات وتحليلها وتقييمها ثم حلها.

فيرى أنّه بالذكاء يمكن للفرد إعادة تقييم المهارات

والعادات والتقاليد الاجتماعية، وتقرير النافع منها.

ويقرر بأن العقل لا ينمو من خلال فرد يطيع المجموع طاعة عمياء، ولا من خلال مجتمع يصب الأفراد في قوالب محددة من السلوك، وإنما ينمو من خلال الحوار وحرية الرأي التي تؤدي إلى إيجاد العقل الاجتماعي.

ويريد ديوي بالعقل الاجتماعي: المؤسسات الاجتماعية التي تفكر بمصلحة الجميع، وتحسين نوعية الفرد.

إذن فديوي يرى أن التربية واجب عليها أن لا تقيد الفرد أثناء تعليمه بقيود، بل توفر له الفرصة للتدرب على حل المشكلات، وتعطيه الفرصة ليتعلم بنفسه، ويتفهم آراء الآخرين، ومن هؤلاء الناضجين تتكون المؤسسات الاجتماعية والتي من شأنها أن تضع القرارات والقيود، وتشكل القيم التي توضع بعد ذلك ضوابط للأفراد[١].

(١) انظر: أهداف التربية الإسلامية (٤٦٩، ٤٧٠).

المطلب الرابع

نقد المذهب التلفيقي[1]

١ ـ يقوم المذهب التلفيقي على اعتقاد انفصام العلاقة بين النزعتين الفردية والجماعية عند الإنسان، وهذا خطأ أيضاً، فكما تقدم أن لكل نزعة دور مهم تقوم به في حياة الإنسان، وأن إعمال كل منهما في مجاله يؤدي لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

٢ ـ يعتبر هذا المذهب متناقض مع نفسه، ففي

(١) انظر: أهداف التربية الإسلامية (٤٦٧ ـ ٤٨٠).

الوقت الذي ينادي بوضع أهداف تربوية متمركزة حول إعداد الفرد، وجعل التلميذ سيِّد نفسه، يضع أهدافاً متمركزة حول المصالح الاقتصادية، ويطالب بتربية الطالب على الخضوع والانقياد لمتطلبات العمل في المؤسسات الصناعية.

فهو في الوقت الذي يدعو فيه إلى توسيع المعلومات لإعداد الفرد، يطالب بإعطاء الطالب معلومات محددة تعده للوظيفة المناسبة، وفي الوقت الذي يدعو فيه تربية الطالب على التأمل والتفكر، يربيه على الخضوع والإذعان للسلطة ولأصحاب العمل. وفي الوقت الذي يدرب فيه الطالب بأن يخطط مستقبله باستقلال ووعي، يدربونه على كيفية تقبل أي وظيفة تسند إليه.

ولذلك فقد احتار المربون الأمريكيون في هذه المشكلة، فمنهم من مال إلى أسلوب النعامة أي: دفن الرؤوس في الرمال، وتجاهل هذا التناقض، ومنهم من يرى بأن الحل لذلك بانفصال أهداف التربية، فأهداف تربية الفرد منفصلة عن أهداف المجتمع الصناعي.

٣ ـ ينتهي مذهب جون ديوي إلى خدمة المذهب الاقتصادي الرأسمالي فهو في حقيقته تربية ترويضية للناشئة على تقبل النظام الاقتصادي القائم، وتنفيذ سياساته،

والدفاع عنه، معدم الانتباه لنقائصه، لأنه صادر عن العقل الاجتماعي، فهو صادر عن حرية الفرد، ولذلك تؤخذ المناهج والنظريات التي تدرس للطلاب عن طريق أصحاب العمل.

٤ ـ يعترف أصحاب المذهب الشخصاني ـ التلفيقي ـ بأن ما ذكروه من توفيق بين الفردية والجماعية ليس صحيحاً، بل هو صورة جديدة من صور تقييد حرية الأفراد وقتل الإبداع في نفوسهم، وتعبيدهم لما هو زائف من مبادئ مشتركة، تكوَّنت على أساس خاطئ.

يقول د. الكحلاني مصوراً مقدار ما يشعرون به من صراع قاتل بين الفردية والجماعية في نفوسهم: «فالإنسان يشعر بالعزلة والغربة حينما يكون بعيداً عن الآخرين، فيشعر أنه وحيد ومنبوذ من قبلهم فيشتد شوقه إلى الآخر، ويحاول الاتصال به عبر الصداقة أو الحب أو الزمالة أو العمل المشترك أو من خلال الارتباط مع الآخرين في الانتماء المشترك لأيدولوجية معينة أو لحزب واحد أو لهوية واحدة.. إلخ، ولكن ما إن ينخرط هذا الفرد مع الآخرين حتى يشعر بعزلة قاتلة، وبغربة أشد وطأة من الغربة الاولى، فيشعر بالعزلة حين يكون منفرداً ويشعر بوطأتها أيضاً حين يعيش مع الآخرين.

وهكذا يعيش الإنسان في حالة من التمزق النفسي بين الانفصال والإتصال، بين التمرد والتوحد، ويظل الإنسان كحبل مشدود بين أناة وذاته وخصوصياته من جهة، وبين الذوات الأخرى، من جهة أخرى، فللفرد سمات خاصة به وله أهداف وغايات محددة، ويتسم بالتفرد حين يعيش منفرداً ويشعر بقيمته وحريته، ويمتلك قوى وطاقات، ولكنه حين يود إخراجها إلى الواقع عليه أن يرتبط بالآخرين؛ ليظهر تفرده وطاقته تلك، غير أنه ما إن ينخرط في الآخرين حتى يضطر لارتداء قناع يحمي به ذاته من المجتمع، فيخفي معظم ما يتصف به من خصوصيات وأفكار ويلجأ لأن يسلك كما يريد الآخرون لا كما يريد هو، وهنا يفقد حريته وذاته ويتشكل وعي جديد حين يجتمع الأفراد يسمى بالوعي الجمعي، وهذا الوعي هو وعي زائف لأن الأفراد في هذه الحالة يتخلون عن معظم أهدافهم وأفكارهم فتظهر أهداف جديدة وأفكار جديدة تمثل ما هو مشترك بين الأفراد»[١].

---

(١) الفردانية (٣٧٨، ٣٧٩).

المبحث الرابع

المذهب الإسلامي في الفردية والجماعية

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: حقيقة المذهب الإسلامي.

المطلب الثاني: أبرز روَّاد المذهب الإسلامي.

المطلب الثالث: فلسفة التربية في المذهب الإسلامي.

المطلب الأول

حقيقة المذهب الإسلامي في الفردية والجماعية

إن سبب اختلاف المذاهب السابقة في الفردية والجماعية يعود إلى اختلاف تصوراتهم عن الطبيعة البشرية[1]، ولقد هدى الله أهل الإسلام إلى الحق في ذلك بما علَّمهم في القرآن وفي السنة، من بيان لحقيقة النفس البشرية، والطبيعة الآدمية، وأنها مخلوقة من قبضة من

(١) انظر: كلام رودمان ويب، في كتاب «أهداف التربية الإسلامية» لماجد الكيلاني (٤٧٠).

الطين، سرت فيها نفخة من روح الله، ولذلك فطبيعتها فيها المتضادات: الطين والروح، والحب والكره، والخوف والرجاء، . . . ، وكذلك الفردية والجماعية[١].

يرى أصحاب المذهب الإسلامي أن الفردية والجماعية من أخطر الخطوط في الطبيعة البشرية، وعليهما ـ في صورتهما الصحيحة أو المنحرفة ـ تقوم نظم الحياة كلِّها، صالحها أو فاسدها، وعلاقات الحياة كلها، سويها أو منحرفها، وسلوك الأفراد والجماعات[٢].

وتقوم نظريتهم على أساس الاهتمام بالنزعتين معاً، دون إغفال لإحداهما، أو المبالغة في تقدير واحدة منهما على حساب الأخرى[٣].

يقول محمد قطب: «ففي كل نفس سوية ميل للشعور بالفردية المتميزة، بالكيان الذاتي، وميل مقابل للاندماج في الجماعة والحياة معها وفي داخلها، ومن هذين الميلين معاً تتكون الحياة. ومن ثَمَّ لا يكون الإنسان فرداً خالصاً، ولا يكون أيضاً جزءاً منبهماً في كيان المجموع»[٤].

ويقول: «لا تمر على الإنسان لحظة واحدة يكون

---

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية (١٢٦).
(٢) انظر: دراسات في النفس الإنسانية (١٣٠).
(٣) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام (١٢٨).
(٤) انظر: دراسات في النفس الإنسانية (١٣٠، ١٣١).

فيها فرداً خالص الفردية قائماً بذاته. ولا تمر عليه لحظة واحدة يكون جزءاً من القطيع غير متميز الكيان، عملية مستحيلة، غير قابلة للتحقيق.

في أشد اللحظات فردية يحمل الإنسان في قلبه مشاعر تربطه بالآخرين.

وفي أشد اللحظات جماعية يحس ـ بأنه على الأقل ـ هو الذي ينفذ رغبة الجماعة بذاته، بكيانه الفردي»[١].

إنَّ المذهب الإسلامي في الفردية والجماعية قائم على تحقيق إنسانية الإنسان كما أراد له ذلك خالقه ﷻ، وبهذا يحصل التوافق التام بين الفردية والجماعية في داخل النفس البشرية، وبين الفرد ومجتمعه، بل بين الفرد وجميع أفراد الإنسانية، بل والطبيعة حوله أيضاً، وذلك يكون وفق الأسس التالية:

١ ـ أن الفرد الإنساني مخلوق لله، خلقه في أحسن صورة، من آدم عليه السلام المخلوق من قبضة من طين، فلم يكن الإنسان في يوم من الأيام قرداً ولا بهيمة، بل كرَّمه الله عن ذلك كله، وجعله فرداً حراً مريداً مسؤولاً، زوَّده بالفطرة المستقيمة، والعقل المميز.

---

(١) انظر: دراسات في النفس الإنسانية (١٣٢).

٢ ـ خلق الله الفرد الإنساني ليكون عبداً له، قائماً بدور الخلافة في الأرض بمقتضى شريعته، وحرَّم عليه أي عبودية لغيره ﷻ، فكلما كان الإنسان لله أعبد كلما ازداد تحقيقه لإنسانيته، وكلما ازداد تمسكه بالوحي المنزل من عند الله كلما اكتمل عقله، وارتاحت نفسه، وسعدت حياته. وبهذين الأساسين تكتمل إنسانية الإنسان الفردية.

٣ ـ تتحقق إنسانية الإنسان الجماعية باستشعاره وحدة الأصل، فأب البشرية وأمها واحد، ولذا فهو كما يرجو لنفسه الخير، يرجو لجميع الناس الخير كذلك، فأصل العلاقة مع الآخرين قائمة على العدل، وعلى مد يد العون والإحسان، وقائمة على الدعوة إلى تحقيق إنسانية الإنسان بالعبودية الخالصة لله تعالى، ولذا فمن واجب الإنسان الحق ـ وليس ذلك إلا المسلم ـ أن ينهى من ابتعد عن إنسانيته إلى مستوى البهيمية، وينهى كذلك من ظلم نفسه بأن عبدها لغير الله، ولو أدى هذا النهي إلى حد المقاتلة، ومع هذا كله فهو بمقتضى جماعيته يمد يد الخير لجميع أفراد البشرية، فهذه هي الإنسانية الحقة في الدين الإسلامي القائمة على تحقيق فردية الإنسان وجماعيته[١].

---

(١) انظر: السلفية وقضايا العصر (٥٨٦ ـ ٦٢٦).

المطلب الثاني

أبرز روَّاد المذهب الإسلامي

مما لا شك فيه أن المذهب الإسلامي في الفردية والجماعية قد جاء واضحاً جلياً في القرآن والسنة، وقد تربى عليه جيل الصحابة والتابعين، ومن بعدهم. فقد جاء في القرآن بأن كل إنسان يحاسب على عمله فرداً، وجاء فيه الأمر بالتعاون مع المجتمع على البر والتقوى، وجاء فيه حث الإنسان أن لا يكون إمَّعة، فيسير مع المجتمع كيف سار، بل عليه أن يحسن إذا أحسنوا، ولا يسيء إذا أساءوا، وجاء فيه الحث على السمع والطاعة لولاة الأمر

ما لم يأمروا بمعصية، فالسمع والطاعة إنما تكون في حدود الشرع، وهكذا.

وعندما ظهرت في العصور المتأخرة الرأسمالية متبنية للمذهب الفردي، وظهرت الشيوعية متبنية المذهب الجماعي، قام مفكروا الإسلام يوضحون موقف الإسلام من الفردية والجماعية، فكان من أوائل من تصدى لهذا الموضوع: سيد قطب ﵀ في كتابيه: الإسلام ومشكلات الحضارة، والسلام العالمي والإسلام.

ثم تناول محمد قطب ـ حفظه الله ـ هذه القضية بشيء من التفصيل في العديد من كتبه مثل: الإنسان بين المادية والإسلام، ودراسات في النفس الإنسانية، ومنهج التربية الإسلامية، وفي النفس والمجتمع، وغيرها من الكتب. ثم تتابع بعد ذلك علماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد ممن يتبنى الإسلام عقيدة ومنهجاً بإيضاح هذه القضية[١].

---

(١) انظر: بحوث ندوة خبراء «أسس التربية الإسلامية». مجموعة في مجلد بهذا العنوان.

المطلب الثالث

فلسفة التربية في المذهب الإسلامي

يمكننا أن نقول بأن فلسفة التربية في المذهب الإسلامي تقوم على الأسس التالية:

الأساس الأول: تغذية الفردية في الإنسان.

الأساس الثاني: تغذية الجماعية في الإنسان.

الأساس الثالث: التوفيق بين الفردية والجماعية في الإنسان.

الأساس الأول: تغذية الفردية في الإنسان:

إنَّ الاهتمام بالجانب الفردي في الإنسان، والعناية به، يثمر ثمرات عديدة منها:

١ ـ إخلاص العبادة لله، والتعلق به وحده في جلب المنافع ودفع المضار:

فإن الفرد الذي يربي نفسه على الاستغناء عن المخلوقين، والزهد عما في أيديهم من أموال ومناصب ومتع الدنيا فإنه يتميز عن المجموع بفرديته، ويشعر بالحرية والمسؤولية، بخلاف الذي يطمع فيما في أيدي المخلوقين من أمور الدنيا فإن قلبه يتعلق بهم تعلقاً قد يصل به إلى الشرك بالله، وقد يصل به إلى الذلة والمهانة لهم، وقد يناله العذاب منهم من جرَّاء ذلك.

٢ ـ الثبات على دين الله تعالى، والقدرة على مواجهة المصاعب والمشاق:

إن الفرد الذي ربى جانب الفردية فيه، لديه من الاستعدادات والقدرات ما يجعله يثبت عند المحن والشدائد، بخلاف الذي أسلم قيادة نفسه للجماعة، تفكر له، وتعتني به، فإنه بمجرد انفراده عنها يضيع وينحرف.

٣ ـ مضاعفة النشاط والجهد:

لأنه يعلم أن المحاسبة على الأعمال يوم القيامة فردية، وأن جهده في الدنيا يحقق مصلحة نفسه، ويحقق ذاتيته.

٤ ـ تحرير العقل والإرادة من اعتداء الآخرين عليهما:

إن الذي ربى نفسه على أن يفكِّر لها، وينظر فيما يصلحها، ويسير وفق ذلك، بالضوابط الشرعية، فإنه يصعب على الآخرين السيطرة عليه بأهوائهم، ولذلك تجده سرعان ما ينجو من انحرافات الجماعة، ويتحرر من استبداد الطغاة، ويدافع عن نفسه، ويجهر بالحق، ويشارك بالرأي، ولا يسلم نفسه لتقاد بغير شرع الله.

ولمَّا كان لتنمية الجانب الفردي هذه الفوائد العديدة وغيرها كثير، فقد حرص الإسلام على تغذية هذا الجانب من نواحي متعددة منها:

١ ـ ربط القلب البشري بالله تعالى[١]:

ويكون ذلك بتعريف الفرد بنعم الله تعالى عليه، وتعريفه بأسماء الله وصفاته وأفعاله ومنها: سعة علم الله،

---

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية (١٦٥)، وشخصية المسلم بين الفردية والجماعية (٥٢ ـ ٥٥).

وسعة قدرته، وعظيم إبداعه، وأن الخير بيده، والشر بيده، والحياة والموت بيده، وأن المخلوقين لا يملكون له نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة، وأن المالك لذلك كله هو الله.

هذا التعلق القلبي بالله، يجعل الشخص يشعر بوجوده المستقل، ويشعر بالقوة النفسية، والتحرر من عبادة العباد.

٢ ـ إشعاره بالمسؤولية عن أعماله[١]:

كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨]. ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥].

فإذا تربى الإنسان على هذا الشعور، فإنه ولا شك سيدفعه للعمل من أجل مصلحة نفسه ونفعها في الدنيا والآخرة، وسيقوم بمحاسبتها ومراقبتها، حتى تحقق له ما يرجو من الأهداف.

---

(١) انظر: التربية الذاتية من الكتاب والسنة (٥٦ ـ ٦٠).

٣ ـ دعوته إلى الاعتزاز بنفسه، والبعد بها عن سفاسف الأمور[١]:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]. وقال ﷺ: **«لا يحقر أحدكم نفسه»**. قالوا: يا رسول الله، وكيف يحقر أحدنا نفسه؟، قال: **«يرى أمراً لله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله ﷻ له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى»**.

٤ ـ تحذيره من متابعة الجماعة دون فهم ووعي[٢]:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال ﷺ: **«لا تكونوا إمَّعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا»**.

---

(١) انظر: شخصية المسلم (٦٠)، أسس التربية الاجتماعية في الإسلام (٢ ـ ٥).

(٢) انظر: شخصية المسلم (٥٦).

٥ ـ حثه على أداء كثير من العبادات بمفرده، وحثه على الإسرار بها:

مثل: قيام الليل، وصيام النوافل، والصدقات، والنصيحة الفردية لآحاد الناس، وغير ذلك.

الأساس الثاني: تغذية الجماعية في الإنسان:

إن اهتمام الإنسان بجانب الجماعية له ثمرات عديدة منها[١]:

١ ـ التعاون على البر والتقوى، ومقاومة الظلم والعدوان.

٢ ـ تجديد النشاط والهمة.

٣ ـ اكتشاف عيوب النفس، والقيام بإصلاحها، وخاصة العيوب التي لا تظهر إلا من خلال حياة الإنسان في الجماعة: كالأنانية والكبر، والعجلة والغضب، . . .

٤ ـ أداء العبادات التي يتطلب أداؤها وجود الجماعة، كالصلوات المفروضة، والجهاد وغيرهما.

٥ ـ تكامل الطاقات والقدرات، وتحقيق الحاجات للنفس وللمجتمع.

---

(١) انظر: شخصية المسلم (٢٥ ـ ٣٧).

ولمَّا كان للتربية الجماعية هذه الثمرات، فضلاً عن كون الحاجة للجماعة نزعة فطرية في الإنسان، فقد اهتمت التربية الإسلامية بهذا الجانب اهتماماً عظيماً، ومن ذلك[١]:

١ ـ الربط بين صحة العقيدة وبين حسن الخلق مع المجتمع.

فجعل الدليل على صحة عقيدة الإنسان حسن الخلق مع المجتمع، وجعل سوء الخلق مع الناس دليلاً على فساد العقيدة.

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ [الماعون: ١ ـ ٣]. فجعل الله من أخص صفات المكذبين بيوم القيامة، الذين فسدت عقائدهم: سوء أخلاقهم مع المجتمع، وخاصة ممن لا يرجون من ورائه نفعاً دنيوياً عاجلاً كاليتامى والمساكين. ومعنى ذلك أن من صحت عقيدته في الله وفي اليوم الآخر، فإنه يحسن خلقه مع المجتمع، سواء رأى مردود ثمرته

(١) انظر: السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب (١١ ـ ٢٠)، ومنهج التربية الإسلامية.

في الدنيا أم لا، لأنه سيجده عند الله تعالى.

٢ ـ وضَّح الإسلام أن المقصود من تشريع العبادات إكساب الناس التقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١] ووضح أن التقوى هي حسن الخلق بقسميه: حسن الخلق مع الخالق، وحسن الخلق مع الناس. ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

فمن أدى العبادات، وساء خلقه مع الناس، فإن ذلك يدل على نقص تقواه، وأن عبادته ما أنتجت الثمرة المطلوبة منها.

ويدل على ذلك قصة المرأة صائمة النهار، قائمة الليل، ولكنها سليطة اللسان تؤذي جاراتها، أخبر عنها النبي ﷺ أنها في النار.

ويدل على ذلك حديث المفلس، الذي يأتي يوم القيامة بعبادات عظيمة ومتنوعة، ولكنه يأتي بسوء خلق مع المجتمع، فيتقاسم الغرماء حسناته، حتى إذا فنيت

حسناته، أخذ من سيئاتهم فوضعت عليه، فطرح في النار.

٣ ـ حث الإسلام على التآخي في الله، وجعل لذلك منزلة رفيعة، وحسنات عظيمة. قال ﷺ: «**قال تعالى: حقت محبتي للمتحابين فيَّ**». وبيّن أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه**».

٤ ـ حث الإسلام على أداء بعض الشعائر جماعة تأكيداً على الجماعة، مثل الصلاة المفروضة.

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

٥ ـ أمر الإسلام بلزوم الجماعة.

٦ ـ حض الإسلام على الشورى.

٧ ـ شرع الإسلام الزواج، ورتب على ذلك الأجور الكثيرة.

٨ ـ حث على السماحة في المعاملة من بيع وشراء ونحو ذلك.

٩ ـ نهى عن كل ما يضر بالمسلم من أقوال أو أعمال كالسخرية والاستهزاء، والكبر والخيلاء، والتناجي.

١٠ ـ رتب على الأعمال الخيرية التي يقدمها الفرد للمسلمين أجوراً عظيمة، وفَضّلها على أداء النوافل من الصلوات.

الأساس الثالث: التوفيق بين الفردية والجماعية:

هذا التوفيق بين الفردية والجماعية في الإنسان هو من أعظم مميزات التربية الإسلامية عن غيرها من مناهج التربية، ويقوم هذا التوفيق على المبادئ التالية[١]:

١ ـ تأكيد الإسلام على أن العلاقة الفردية التي بين العبد وربه، لا بد أن تبرز في الخارج في نظام اجتماعي عادل متحرر من كل أشكال التسلط والقهر.

٢ ـ جعل الإسلام في شرائعه من الأوامر والنواهي

---

(١) انظر: مفهوم إسلامي للتاريخ (٧١)، وأسس التربية الإسلامية (٢)، والإنسان في القرآن (٨، ١٧)، والبناء القيمي للشخصية كما ورد في القرآن الكريم (٣، ٤، ١٣)، والنظرية التربوية في الإسلام (١٦، ١٧)، والتربية والتجديد، وتنمية الفاعلية عند المسلم المعاصر (٤٣ ـ ٥٩).

ما يحقق التوازن بين الفردية والجماعية، فإذا انضبط المسلم بالشرع حقق فرديته، وخدم مجتمعه، دون تجاوز من أحدهما على الآخر.

٣ ـ بدأ الإسلام في بناء المجتمع من خلال ضمائر الأفراد ووجدانهم، فغرس فيها بذر الحب والرحمة للمؤمنين، وجعل محبتهم من حقيقة الإيمان بالله، ومن الأمور الجالبة لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

٤ ـ جعل الإسلام العلاقة بين أفراد المجتمع علاقة تكافلية، وأقام السلام على أساس مصلحة الفرد والمجتمع، على خلاف المذاهب الأرضية، فقد جعلت العلاقة بين أفرادها علاقة صراع وتنافس، وأقامت سلامها إما على مصلحة الفرد دون المجتمع، أو العكس.

٥ ـ جعل الإسلام قيماً منظمة لعلاقة الفرد بربه، وقيماً منظمة لعلاقة الفرد بنفسه، وقيماً منظمة لعلاقة الفرد بالآخرين، هذه القيم لو ربى المسلم نفسه عليها لأصبح نموذجاً فريداً، تشرأب الأنظار إليه، ولتكون من هؤلاء الأفراد مجتمعات سوية، ولعادت الأمة الإسلامية إلى مكانتها من القيادة والريادة، ولحلَّ السلام الحقيقي بالعالم أجمع. ولولا خشية الإطالة لذكرت بعض ما أوجبه الله على الفرد تجاه والديه، وتجاه زوجته وتجاه أولاده وتجاه

جيرانه وتجاه أقاربه وأرحامه وتجاه ولي أمره. . ، ولذكرت بعض الحقوق التي أوجبها الله على أولئك من والدين وجيران وأقارب وولاة الأمر تجاه الفرد، وهو معروف مشهور في ديننا الإسلامي، لو التزم الفرد بواجباته الشرعية تجاه مجتمعه، والتزمت مؤسسات المجتمع وولاة الأمر والجماعات المختلفة بواجباتها الشرعية تجاه الفرد، لما حدث أي صراع البتة داخل النفس البشرية بين الفردية والجماعية، ولما حدث أي صراع البتة بين الفرد ومجتمعه، ولحدث التوازن والتكامل في النفس وفي الواقع.

الخاتمة

وفيها أبرز النتائج:

١ ـ من أبرز الصفات في الإنسان التي تبدو في الظاهر متضادة متناقضة: إحساس الإنسان بفرديته، وإحساسه بالميل إلى الاجتماع بالآخرين.

٢ ـ انقسمت المذاهب الفلسفية تجاه الفردية والجماعية إلى ثلاثة أقسام، وكلها ترى أن العلاقة بينهما علاقة صراع وتضاد.

٣ ـ يقوم المذهب الفردي على تقديس الفرد، ويقوم المذهب الجماعي على تقديس المجتمع، ويحاول المذهب التلفيقي الجمع بينهما من ناحية المنفعة، فازداد التناقض والصراع عنده من ناحية التربية، فهو يربيه ليكون فرداً، وفي الوقت ذاته يفرض عليه آراء وقيود أرباب العمل دون قناعة منه بذلك، ويربيه على تقبلها دون تفكير.

٤ ـ يتبنى المذهب الفردي: الرأسمالية، وعلماء النفس الفردي، والوجوديون، وأصحاب المدرسة التحليلية من أتباع فرويد.

ويتبنى المذهب الجماعي: الشيوعية، ويعتبر هيجل وماركس ودوركايم من أبرز من دعا إليه.

ويتبنى المذهب التلفيقي: جون ديوي، وينتشر فكره حالياً في أمريكا.

٥ ـ تنطلق الرؤية الإسلامية لحقيقة الفردية والجماعية من القرآن والسنة، ولذلك ترى أهمية الفردية وأهمية الجماعية، فتربيهما جميعاً في الإنسان بتوازن وشمول وتكامل، فينتج من ذلك الوفاق في داخل الإنسان، وبين الفرد ومجتمعه، ولا يطغى أحدهما على الآخر.

وصلّى الله على محمد وآله وسلّم.

المراجع

١ ـ دراسات في الفلسفة المعاصرة: د. زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، مصر.

٢ ـ آفاق الفلسفة: د. فؤاد زكريا، مكتبة مصر، مصر.

٣ ـ فلسفة المحدثين والمعاصرين: تأليف: أ. وولف، ترجمة: أبو العلا عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، بمصر، ١٩٤٤م.

٤ ـ في فلسفة الحضارة: د. أحمد صبحي، د. صفاء جعفر، دار المعرفة الجامعية، مصر.

٥ ـ علم الأخلاق: بروفيسور: ألكسندر تيتارينكو، ترجمة: دار التقدم، طبعة الاتحاد السوفيتي ١٩٩٠م.

٦ ـ تقاليد أول أيار: ألكسندر خرامتسوف، ترجمة دار التقدم، طبعة الاتحاد السوفيتي ١٩٨٨م.

٧ ـ أهداف التربية الإسلامية: د. ماجد عرسان الكيلاني، مؤسسة الريان، بيروت ط(١)، ١٤١٩هـ.

٨ ـ العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية: إعداد: د. إسماعيل الفاروقي، ود. عبد الله عمر نصيف، ترجمة: د. عبد الحميد الخريبي، ن. شركة مكتبات عكاظ، ط(١)، ١٤٠٤هـ.

٩ ـ مفهوم إسلامي للتاريخ: بقلم: عبد الحميد صديقي، بحث: ضمن بحوث الكتاب السابق.

١٠ ـ مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع (الجزء الأول: الجماعة): د. محمد علوان، دار الشروق، جدة، ط(١)، ١٤٠٤هـ.

١١ ـ شخصية المسلم بين الفردية والجماعية: د. السيد محمد نوح، دار الوفاء، بمصر، ط(٣)، ١٤١١هـ.

١٢ ـ منهج التربية الإسلامية: محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٥هـ.

١٣ ـ دراسات في النفس الإنسانية: محمد قطب، دار الشروق القاهرة، ط(٦)، ١٤٠٣هـ.

١٤ ـ الإنسانية بين المادية والإسلام: محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط(٨)، ١٤٠٣هـ.

١٥ ـ جاهلية القرن العشرين: محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٣هـ.

١٦ ـ في النفس والمجتمع: محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط(١٠)، ١٤١٣هـ.

١٧ ـ السلام العالمي والإسلام: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٥هـ.

١٨ ـ الإسلام ومشكلات الحضارة: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط(١١)، ١٤١٢هـ.

١٩ ـ بحوث ندوة خبراء «أسس التربية الإسلامية»: الناشر: مركز البحوث التربوية والنفسية، ط(٢)، ١٤٠٠هـ، من ضمنها:

١ ـ الإنسان في القرآن الكريم (الجانب العقلي): د. أحمد توفيق شاولي.

٢ ـ أسس التربية الاجتماعية في الإسلام: د. محمد الشاذلي.

٣ ـ أسس التربية الإسلامية: د. صالح نابي.

٤ ـ البناء القيمي للشخصية كما ورد في القرآن الكريم: د. عبد الحميد الهاشمي، د. فاروق سيد عبد السلام.

٥ ـ النظرية التربوية في الإسلام: د. محمود السيد سلطان.

٦ ـ نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع: د. محمد الغزالي.

٧ ـ النظرية التربوية الإسلامية: د. محمد قطب.

٢٠ ـ السلوك الاجتماعي في الإسلام: حسن أيوب، دار الندوة الجديدة، بيروت.

٢١ ـ التربية الذاتية من الكتاب والسنة: هاشم علي أحمد، الأهدل للنشر والتوزيع، مكة ط(١)، ١٤١٣هـ.

٢٢ ـ التربية والتجديد: د. ماجد عرسان الكيلاني، مؤسسة الريان، بيروت، ط(١)، ١٤١٨هـ.

٢٣ ـ الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر: د. حسن الكحلاني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط(١)، ٢٠٠٤م.
٢٤ ـ المعجم الفلسفي: د. جميل صليب، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ.
٢٥ ـ السلفية وقضايا العصر: د. عبد الرحمٰن بن زيد الزنيدي، مركز الدراسات الإسلامية والإعلام، دار إشبيليا، الرياض، ط(١)، ١٤١٨هـ.
٢٦ ـ اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية: د. ماجد عرسان الكيلاني، معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط(١)، ١٤١٢هـ.

الفهارس

الموضوع **الصفحة**